سياسة إسبانيا تجاه الأراضي المنخفضة 1559-1648

م.د. أحمد عبود عبدالله

ahmedabood044@gmail.com

جامعة كركوك ، كلية التربية

الملخص

تعد الاراضي المنخفضة مركز مهم بالنسبة لإسبانيا بسب موقعها الجغرافي الواقع شمال فرنسا وغربي ألمانيا , وتشمل الاراضي المنخفضة سبع عشرة مقاطعة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر , وتعد جزء من الامبراطورية الرومانية المقدسة وتخضع لسلطانها المطلق , ولذلك كانوا سكان الاراضي المنخفضة يتعرضون للاضطهاد وخصوصاً في عهد شارل الخامس الذي استغل مواردهم في سد حاجة الامبراطورية , كما اختلفت وسائل الملك فيليب الثاني لتحقيق هذا الهدف وتنوعت , إذ كان كاثوليكيا متعصبا ، لان يرضى بأن يكون تابع للبابوية. ومتمسك بحق الملوك الإلهي وكان صارما في حكمه ، والتجا في كثير من الظروف إلى القوة ، وكانت هذه هي روح العصر, لذلك كان من اهم الاهداف التي يسعى اليها زعماءها هو توحيد حكومات تلك المقاطعات واعلان الاستقلال عن إسبانيا ولكن الخلافات الدينية والسياسية كانت تحول دون ذلك , لكنها نجحت في منتصف القرن السابع عشر بإعلان استقلال المقاطعات السبع الشمالية بأسم الجمهورية الهولندية بموجب صلح وستفاليا عام 1648.

الكلمات المفتاحية : الاراضي المنخفضة , صلح أوغسبورغ , أسرة أورانج , تسوية غنت , اتحاد اوتريخت.

Spain's Policy Toward the Low Countries 1559-1648

Inst.Prof. Ahmed Abood Abdullah Ph.D.

ahmedabood044@gmail.com

Kirkuk University , College of Education

Abstract

The geographical location of the Low Countries, situated to the north of France and west of Germany, rendered them a significant focal point for Spain. During the fifteenth and sixteenth centuries, these territories encompassed seventeen provinces and were integral parts of the Holy Roman Empire, operating under its complete jurisdiction. Consequently, the inhabitants of the Low Countries found themselves facing persecution, particularly during the reign of Charles V, who leveraged their resources to fulfill the empire's requirements. King Philip II employed diverse strategies to achieve this objective, given his staunch Catholic beliefs that precluded subordination to the Papacy. He staunchly upheld the concept of the divine right of kings and maintained a stringent governance style, frequently resorting to coercion in various situations, reflecting the prevailing ethos of the era. As a result, a primary aim of the leaders was to consolidate the governance structures of these provinces and assert autonomy from Spain. Nonetheless, religious and political discord impeded progress towards this goal. Despite the challenges, success was eventually achieved in the mid-seventeenth century when the independence of the seven northern provinces was proclaimed, leading to the establishment of the Dutch Republic through the Peace of Westphalia in 1648.
Keywords: the Low Countries, the Peace of Augsburg, the House of Orange, the Ghent Settlement, the Union of Utrecht.

المقدمة

كانت الاراضي المنخفضة من ضمن الميادين التي اندلع فيها النضال الديني والسياسي في اسبانيا , ونظمت فيها اعظم الثورات التي افضت بعد حروب طاحنه بتكبدها خسائر كبيرة بالأموال والارواح , وكانت الاراضي المنخفضة من ضمن الاراضي التي حصل عليها الملك فيليب الثاني بعد وفاة ابيه شارل الخامس , وكان من اهم الاهداف التي يسعى اليها زعماءها هو توحيد حكومات تلك

المقاطعات ولكن الخلاف الديني والسياسي والعواطف القومية كانت تحول دون ذلك اذ كان سكان المقاطعات الشمالية يدينون بالمذهب البروتستانتي ومعظمهم من الجنس التيتوني ويرغبون بالحكم الديمقراطي بينما كان سكان الجنوب يتبعون الكنيسة الكاثوليكية في روما وينتسبون الى الجنس الكلي ويرغبون في اوتوقراطية الحكم.

قسم البحث إلى مقدمة وثلاث محاور وخاتمة , تناول المحور الاول سياسة إسبانيا الخارجية في عهد الملك فيليب الثاني تجاه الاراضي المنخفضة , وتطرق المحور الثاني الى ظهور الحركات القومية المطالبة بالاستقلال في الاراضي المنخفضة , واستعرض المحور الثالث تحقيق الوحدة الهولندية. كما واعتمد البحث على مجموعة من المصادر المهمة التي تخص قضية الاراضي المنخفضة والسياسة الإسبانية فيها , اما الخاتمة فقد تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث.

أولاً : سياسة إسبانيا الخارجية في عهد الملك فيليب الثاني تجاه الاراضي المنخفضة.

بعد تنازل الامبراطور **شارل الخامس**(*) **Charles V** عن حكم الامبراطورية الرومانية المقدسة بعد صلح أوغسبورغ في 25 ايلول 1555, عاش منعزلا بعد ان قسم أملاكه بين أخيه **فرديناند الأول**(*) **Ferdinand I** , وابنه **فيليب الثاني**(*) **Philip II** ، فاصبح فرديناند الاول إمبراطورا للإمبراطورية الرومانية المقدسة , وأصبحت النمسا , وبوهيميا , والمجر ضمن املاكه ، أما الممتلكات الأخرى فقد كانت من نصيب فيليب الثاني ملك إسبانيا ، وضمت املاكه البرتغال والأراضي المنخفضة **[هولندا وبلجيكيا]** وإمارة برجنديا شرق فرنسا وميلان ونابولي , والعالم الجديد (Phillips & Phillips, 2016, p. 184) , كما عمل فيليب الثاني على تحقيق حلم أبيه شارل الخامس في سيطرة **عائلة آل هابسبورغ** (†) **House of Habsburg** الحاكمة في إسبانيا على أوروبا , إذ كانت عائلة آل هابسبورغ تتمتع بنفوذ واسع كون إسبانيا تمثل اكبر الدول الكاثوليكية في أوروبا واستقر الملك فيليب الثاني نهائيا في اسبانيا بعد عام 1559 ونقل عاصمته إلى مدريد (Dandelet & Marino, 2007, p. 53).

اختلفت وسائل الملك فيليب الثاني لتحقيق هذا الهدف وتنوعت , إذ كان الملك فيليب الثاني كاثوليكيا متعصبا ، لان يرضى بأن يكون مجرد تابع للبابوية. وكان متمسك بحق الملوك الإلهي وكان صارما في حكمه ، والتجا في كثير من الظروف إلى القوة ، وكانت هذه هي روح العصر. وكان تحمسه للدين قائما على أساس من التأييد الذي كانت تقوم به الكنيسة للدولة، ومع ذلك كان الملك فيليب الثاني بحاجة مستمرة إلى المال ، ويرجع ذلك إلى فساد النظم المالية والتبذير في موارد الدولة فإسبانيا رغم قوتها , وعظمتها كانت في الواقع سائرة في طريق الانهيار ، وذلك بسبب السعي وراء الذهب في العالم الجديد , وذلك تسبب في انهيار الزراعة والصناعة وغلاء الأسعار وانتشار الفساد ، وصار الملك لا يستطيع أن يجمع الكثير من المال من إسبانيا نفسها , وعلى الرغم من ثراء رجال

(*) شارل الخامس (1500–1519/1558– 1558) : شارل الخامس أو شارلكان ولد في 24 شباط 1500 في مدينة غينت شمال غرب بلجيكا , وهو الابن الأكبر لفيليب الجميل من زوجته خوانا القشتالية , تولى حكم إسبانيا منذ عام 1518 باسم شارل الأول ، وتولى بعد وفاة جده ماكسمليان الأول عام 1519 عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة باسم شارل الخامس , في عام 1526 تزوج من الأميرة البرتغالية ايزابيلا وولدت له خمسة أطفال وشهد عهده نشوب حرب بينه وبين فرانسوا الأول ملك فرنسا. توفي عام 1558. للمزيد ينظر: (Encyclopedia Britannica, 1910, pp. 899-900).

(**)* فرديناند الأول (1503 – 1555/1564–1564) : عاهل نمساوي من آل هابسبورغ وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وهو أول دوقٍ للنمسا في الفترة من 1521 إلى 1564. كما حكم بوهيميا والمجر بين عامي 1526–1564. حكم كأرشيدوقٍ للنمسا تابعاً لأخيه كارل الخامس الإمبراطور الروماني المقدس الذي اعتزل سنة 1556 لصالح كلٍّ من ابنه فيليب ليغدوَ ملكاً لإسبانيا وأخيه فرديناند ليغدوَ إمبراطوراً رومانياً مقدساً. بقي فرديناند إمبراطوراً رسمياً منذ عام 1558 حتى وفاته عام 1564. للمزيد ينظر: (Kamen, 2000, p. 110).

(***) *فيليب الثاني (1527 – 1598/ 1556–1598) : ملك إسبانيا والبرتغال ابطل الإصلاح المضاد للروم الكاثوليك. وصلت الإمبراطورية الإسبانية خلال مدة حكمه إلى أعظم قوتها وامتدادها ونفوذها، على الرغم من فشله في قمع ثورة الاراضي المنخفضة وخسر موقعة الأرمادا امام إنكلترا عام 1588. للمزيد ينظر: (Kamen, 2000, p. 237).

(†) عائلة آل هابسبورغ : تعد من أشهر العائلات الملكية الأوروبية , تولى أفراد هذه العائلة الحكم في الإمبراطورية الرومانية المقدسة ما يقرب من 400 عام , ويعد رودولف الأول Rodolph I , الذي أصبح ملكاً لألمانيا في عام 1273 أحد أوائل حكام آل هابسبورغ الذي وصل إلى مستوى القوة العظمى , واستمرت هذه العائلة في زعامة الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأوروبا حتى بداية القرن التاسع عشر. للمزيد ينظر: (Kann, 2017, pp. 3-6).

الدين فهم كانوا معفيين من الضرائب والأمراء لم يكونوا يساهمون في موارد التاج بانتظام , وساعد ذلك على تردي الاوضاع الاقتصادية في اسبانيا بسبب فقدانها لأحسن صناعها وعمالها خلال عمليات طرد العرب ، وفقدانها كثيرا من قوتها التجارية من جراء طرد اليهود ، وفقدانها الكثير من خيرة أبنائها عامة عن طريق أعمال محاكم التفتيش (Elson, 1927, p. 47).

من ناحية ثالثة نجد أن عمليات النهب والسرقة في المستعمرات الاسبانية في العالم الجديد، والسياسة الاسبانية الضيقة هناك أسهمت في إضعاف اسبانيا ، فلم يكن يصل لخزائن الدولة سوى جانب ضئيل من الثروة التي كان يتم جمعها في العالم الجديد. كما نقلت إسبانيا النظام الإقطاعي إلى العالم الجديد وتشددت في منع غير الاسبان من الدخول الى مستعمراتها، وحرمت عليها التجارة مع الدول الأخرى، وفي نفس الوقت لم ترسل إلى هذه المستعمرات ما كانت تحتاج إليه (Phillips & Phillips, 2016, p. 190).

ذلك أدى إلى عرقلة تقدم المستعمرات ، وتشجيع التهريب على نطاق واسع ، وشل الرخاء الاقتصادي في إسبانيا ذاتها , يضاف إلى كل ذلك أن مجهودات اسبانيا لزيادة قوتها السياسية في أوروبا وقيادة حركة الإصلاح الكاثوليكي قد أضعفت إسبانيا , كما كان انشغال الملك فيليب الثاني نفسه في فرنسا ، وفي الأراضي المنخفضة ، وفي البرتغال (محمد، 2015، صفحة 7). كما تزوج من أربع ملكات أوروبيات من دول مختلفة ، فتزوج ماري البرتغالية ، وماري الانكليزية ، واليزابيث الفرنسية ، وآن النمساوية (State, 2008, p. 46), كما اتجه الملك فيليب الثاني إلى الأراضي المنخفضة كمصدر للدخل القابل للازدياد. وكان مركز الأراضي المنخفضة الاقتصادي يوحي بتحقيق الهدف ، فقد صارت هذه الجهات مركزة كبيرة , إذ كانت لها تجارة واسعة فيما وراء البحار وصارت مدينة **أنتويرب Antwerp** , و**أمستردام Amsterdam** من أغنى المدن التجارية في العالم (State, 2008, p. 47).

وعلى الرغم من أن الأراضي المنخفضة كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة قبل خضوعها للحكم الاسباني إلا أن سلطة الامبراطور فيها كانت إسمية , وبذلت جهود ترمي إلى إدخال نوع من الوحدة بين هذه الولايات ، وتم إنشاء مجلس عام يجمع بين ممثلي الولايات التي كانت تتكون منها الأراضي المنخفضة، وهذا هو مجلس الولايات. ولكن ذلك لم يغير شيئا من الأوضاع في الولايات , فقد أثار هذا النظام المعارضة في الأراضي المنخفضة , إذ كانت الأراضي المنخفضة يغلب عليها نظام المدن , وكان الاهتمام مركزة في التجارة , وكان نظامها يتبع الولايات المستقلة. وكانت الحرية الدينية منتشرة حيث امتدت حركة الإصلاح الديني اليها (Motley, 2006, pp. 10-11).

وقد أثارت سياسة الملك فيليب الثاني أهل الأراضي المنخفضة , وزاد سخطهم على حكمه , إذ لم يكن الملك فليب الثاني مستعد لمنحهم أية حرية سياسية أو دينية بل كان يرى أن الوسيلة الوحيدة لذلك هي استخدام القوة , وأظهر لهم الاحتقار , وعين أخته **مارغريت هابسبورغ Margaret of Austria** [*] في منصب الحاكم العام. وكانت مارغريت هي الأخرى من طائفة الجزويت وكاثوليكية متعصبة , وقد أثار هذا التعيين النبلاء من أهل البلاد ، ولا سيما وأن مارغريت قد كونت ما يسمى **بالمجلس السري Consulta** ، وهذا فاق نفوذه سلطات مجلس الولايات الذي كان يضم كبار النبلاء (Motley, 2006, p. 15).

فضلا عن التذمر الذي ساد البلاد بسبب وجود القوات الاسبانية داخل الاراضي المنخفضة. كذلك أمر الملك فليب الثاني بإنشاء أربع عشرة أسقفية جديدة فضلا وجود الأسقفيات الأربع من قبل , وبذلك بات أهل البلاد يخشون نمو النفوذ الاسباني ونمو الكنيسة التي يسيطر عليها الملك ، بعد أن لاقت العقائد البروتستنتية نجاحاً رغم المراسيم التي كانت تبيح الاضطهاد. وبذلك صارت اللوثرية والكلفانية قوة سياسية (Phillips & Phillips, 2016, p. 192).

ثانياً : ظهور الحركات القومية المطالبة بالاستقلال في الاراضي المنخفضة.

قامت حركة في الاراضي المنخفضة لمعارضة الملك الاسباني فليب الثاني يتزعمها كبار النبلاء وفي مقدمتهم أسرة أورانج[*] **House of Orange** وكان على رأسهم وليام الاول [*] **William I** الملقب بوليام الصامت او وليام أورانج ، والكونت

(*) مارغريت هابسبورغ (1522 – 1586) : وهي ابنة شارل الخامس إمبراطور الروماني المقدس الغير شرعية واخت الملك فيليب الثاني ، أصبحت دوقة فلورنسا ودوقة بارما كما حكمت الاراضي المنخفضة من عام 1559 الى عام 1567. للمزيد ينظر: (Encyclopedia Britannica, 1910, pp. 703-704).

* (**) أسرة اورانج : أسست في مطلع القرن الثاني عشر , انقسمت بعد وفاة الكونت هنري الثاني عام 1255 إلى فرعين , انحدر من الأول حكام دوقية لكسمبورغ ، وعرف الثاني باسم أورانج ناسّاو وانحدر منه ملوك هولندا , بدأ تاريخ هذه الأسرة في العصور الحديثة في عصر وليام الأول

أجمونت Egmont ، والادميرال **هورن Horn** وكان هدف المعارضة هو طرد الكاردينال **جرانفيلا Granvella** مستشار مارغريت هابسبورغ وعضو المجلس السري الذي فاق نفوذه نفوذ سيدته نفسها (Phillips & Phillips, 2016, p. 192).

وعلى الرغم من استجابة الملك فيليب الثاني لرغبة المعارضة الا ان ذلك لم يغير من الأمر شيئا فالملك لم يكن ينوي في الواقع إجراء أي تغيير في نظام الحكم في الأراضي المنخفضة , إذ امر بتنفيذ المراسيم الخاصة بالهرطقة والآراء الدينية المخالفة لهم , وكل ذلك لم يؤدي إلى القضاء على حركة المعارضة بل على العكس أدت إلى تقويتها ، وظهور جماعة في الأراضي المنخفضة عرفت باسم **الشحاذين Beggars** , ففي نيسان 1566 تقدم حوالي (400) من النبلاء بملتمس إلى مارغريت يطلبون فيه تخفيف النشاط الخاص بمراسيم الهرطقة، واستدعاء مجلس الولايات للاجتماع في فترات منظمة كذلك أشار النبلاء في ملتمسهم إلى خطر قيام الثورة في حالة رفض هذه المطالب كما زادت اهمية حركة الشحاذين وضمت كثيرة من الكاثوليك كما شملت الطبقات الأخرى (Ergang, 1939, p. 292).

ولم يعالج الملك فيليب الثاني الأمور في الأراضي المنخفضة بشيء من الحكمة بل عمل على قمع الحركة بكل وحشية فجدد مراسم الاضطهاد ، وأرسل القائد الاسباني **ألفا Alva** على رأس جيش من المرتزقة الايطاليين والاسبان لسحق الحركة وتنفيذ المراسيم بالقوة , وعلى الرغ من من حالة الهدوء التي كانت موجودة في الاراضي المنخفضة ، إلا أن ألفا تصرف بتهور وصمم على إذلال البلاد بالقوة , إذ بدأ بمحاولة أسر زعماء المعارضة الثلاثة ولكن وليام الأول انسحب إلى أملاكه بمجرد مجيء ألفا . كذلك استاءت مارغريت من موقف أخيها وتخطى ألفا لسلطتها، فغادرت البلاد ، ورغم تحذير مارغريت له من مغبة سياسته فقد أسر ألفا اثنين من زعماء المعارضة وهم أجمونت وهورن، وبعد محاكمة صورية حكم عليهما بالإعدام , وتم اعدامها علنا في بروكسل (State, 2008, p. 49).

بعد سيطرة القائد الاسباني ألفا على الاراضي المنخفضة أنشأ محكمة أسماها **مجلس المتاعب Council of disorders** ، وكان الأهالي يسمونها مجلس الدم ، فأحكامه كانت غالبا أعمالا إجرامية أكثر منها أحكاما قضائية , وقد أثارت هذه الفظائع سكان البلاد , وانضم الكثيرون إلى المعارضين للحكم الاسباني. كذلك أثارت الاضطهادات عطف الدول البروتستنتية على الأراضي المنخفضة ، أما وليام الأول فقد تأكد عقب إعدام هورن وأجمونت أن ذلك هو الوقت المناسب من اجل القضاء على الحكم الاسباني واستقلال هولندا , فجمع جيشا من المرتزقة الألمان و**الهيكنوت**(†) **Huguenot** الفرنسيين وأهالي الأراضي المنخفضة الذين كانوا قد فضلوا المنفى على الاضطهاد ، وهكذا بدأت الثورة الكبرى للأراضي المنخفضة عام 1568 وأحرز القائد الاسباني ألفا انتصاره أول الأمر، وبذلك عجز وليام الأول عن التغلب على عدوه في الميدان ، فلجأ إلى وسائل أخرى تكون إلى حرب العصابات في البر والبحر ، الأمر الذي أدى إلى تكبد الاسبان الخسائر والنفقات الباهظة , وكان ارتباك ألفا المالي من أولى عوامل فشله حتى رفع جيشه راية العصيان لعدم دفع الرواتب (Andeweg & Irwin, 1993, p. 8).

William I (1559–1584) الملقب بـ (الصامت) , وخلفه أبنه الثاني موريس فان ناساو Maurice Van Nassau (1567–1625) , ومن بعده أخوه فيليب غليوم Philip Gillum , ثم الأخ الثالث فريدريك هنري Frederick Henry (1584–1647) , وخلفه أبنه وليام الثاني William II (1626–1650) , وسعوا جميعهم لمحاربة إسبانيا بهدف الاستقلال منها , وقد تقرب ملك إنكلترا شارل الأولCharles I من وليام الثاني وتزوج من أبنته الأميرة ماري ستيوارت Mary Stuart عام 1641 التي أنجبت منه وليام الثالث William III , ومهَّد ذلك لأسرة أورانج الطريق إلى عرش إنكلترا. للمزيد من التفاصيل ينظر : (Broomhall & Gent, 2016).

(*) وليام الاول (1533–1584) : وليام أمير أورانج وهو أول الحكام الوراثيين (1572–1584) للمقاطعات المتحدة في هولندا وزعيم ثورة هولندا ضد الحكم الإسباني والمذهب الكاثوليكي. للمزيد ينظر: (https://www.britannica.com/biography/William-I-stadholder-of-United-Provinces-of-The-Netherlands)

(†) الهيكنوت : بروتستانت فرنسا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، أختلف في أصل كلمة الهيكنوت وذكر انها كانت مشتقة من كلمة Eidgenossen الألمانية والتي أطلقت عليهم في سويسرا وتعني الحليف او الشريك , وأطلق هذا الاسم على أتباع حركة الإصلاح الديني الفرنسية منذ بداية الحرب الأهلية وقد كونوا في البدء حزباً دينياً ، ثم صاروا يحاربون لأغراض دنيوية وبهذا دخلوا ميدان السياسة ، كانوا اقلية لكنهم مارسوا نفوذا عظيماً منحهم اياه هنري الرابع أول ملوك آل بوربون. للمزيد ينظر: (Acton, 1906, pp. 11-17)

كما عمل وليام الأول علاقات مع زعماء الهيكنوت في فرنسا ، ووضع خطة للهجوم على الأراضي المنخفضة , وانتهز فرصة السخط الذي ساد طبقات التجار في الجنوب والشمال بسبب الضرائب التي فرضها ألفا ، وغزا وليام الأول البلاد من الشرق بينا غزاها الهيكنوت من جهة فرنسا (جار الله، 2015، صفحة 129) , ولكن بعد حدوث تمردات في فرنسا ، ومقتل اغلب زعماء الهيكنوت مما ادى ذلك إلى فشل الخطة , وظهور جماعة عام 1572 كانت تسمى **بشحاذي البحار Sea Beggars** من المهاجرين من الأراضي المنخفضة الذين كانوا قد لجأوا إلى إنكلترا (Claflinma, 1910, p. 112).

قاموا شحاذي البحار بعمليات حربية ضد الجيش الاسباني بسبب امتلاكهم السفن، واستولى الشحاذين على مدينة بريل **Brill** على مصب نهر الميز **Mass** ثم استولوا على مدينة **فليسينجين Vlissingen** جنوب هولندا وبذلك تحكموا في نهر **شلت Scheldt** , وفي غضون عدة اسابيع سقطت مدينة **زيلاند Zeeland**, وتلا ذلك قيام ثورة عارمة في المقاطعات الشمالية , ولم تستطع اسبانيا من بسط نفوذها في تلك الجهات ، وبدأت معارك الحصار في الشمال ، واعترفت بعض الولايات مثل **أوترخت Utrecht** بسلطة وليام الأول (Bindoff, 1964, pp. 247-248).

استدعى ألفا من قبل الملك فليب الثاني فغادر الأراضي المنخفضة عام 1573 وخلفه **دون لويس Don Louis** فحاول وليام الأول الاتفاق مع دون لويس ، ولكنه لم يوفق رغم أن دون لويس قد أظهر الاعتدال ، وأوقف نشاط مجلس الدم , وحاول إنهاء الخلاف بين الأهالي والملك فيليب الثاني , وقدم لهم ثلاث مطالب تتعلق بسحب الجنود الاسبان من الأراضي المنخفضة ، وإعادة نظام الحكم في البلاد إلى ما كان عليه ، والحرية الدينية. ولكن المطالب رفضت ، وبذلك عادت الحرب (Lodge, 1885, p. 110).

كما ان موت دون لويس عام 1576 دون أن يحرز نجاحا حاسما أتي بنتائج على قدر من الأهمية في تاريخ الحركة القومية للأراضي المنخفضة. فقد وجد الجنود الاسبان البلاد بدون حاكم ، ورأوا رواتبهم تنقطع عنهم ، فأعلنوا التمرد، ونهبوا مدينة أنتويرب وتلك هي الحادثة المعروفة باسم **القضية الاسبانية Spanish Fury** وقد سهلت هذه الأحداث على وليام الأول مهمة توحيد المقاطعات الشمالية والجنوبية, وتناسى سكان الشمال والجنوب الاختلافات الدينية، وطفت القضية القومية الكبرى على ما عداها من قضايا (Claflinma, 1910, p. 114).

وهكذا تمت تسوية **غنت Ghent** في تشرين الثاني 1576 وقد ربطت هذه التسوية المقاطعات الجنوبية الكاثوليكية بالمقاطعات الشمالية البروتستنتية في اتحاد سياسي لمواجهة النفوذ الاسباني. وبمقتضى تلك التسوية تعهدت المقاطعات الشمالية البروتستنتية بعدم اتخاذ أي إجراء ضد الكاثوليكية. كذلك تم الاتفاق على الاعتراف بالملك فيليب الثاني حاكما لهم بشرط جلاء الجيش الاسباني وإطلاق الحرية الدينية وتكوين مجلس فدرالي (Price, 1998, p. 16).

خلف دون لويس في حكم الأراضي المنخفضة **دون جون Don John** الذي سلم بالمطالب التي أجمعت عليها البلاد وامتثل لوحدة الشمال والجنوب ، فأكد تسوية غنت ووعد بسحب القوات الإسبانية (Price, 1998, p. 17), ولكن وليام الأول لم يستطع الاحتفاظ بالنصر الذي حققه فالخلافات الدينية عادت إلى الظهور بين الشمال والجنوب , ومع ذلك فقد تجدد النزاع بين الشمال والجنوب ، وفيه استعان نبلاء الجنوب بالنمساويين ، واشترك دون جون في ذلك النزاع، وتمكن من الانتصار في **معركة جمبلو Gembloux** في كانون الثاني 1578 , وهذه معركة مهمة في تاريخ الأراضي المنخفضة فبعدها استقر لكل من هولندا وبلجيكا وجودهما السياسي المنفصل ، وبذلك مهد الطريق إلى عودة الانفصال وعودة المقاطعات إلى سيطرة الحكم الاسباني (Tracy, 2008, p. 160).

ثالثاً : تحقيق الوحدة الهولندية.

أظهرت الظروف لوليام الأول مدى استحالة تحقيق فكرة تكون دولة متحدة من الأراضي المنخفضة ، فنبذ هذه الفكرة جانبا، ولا سيما وأن **دوق بارما Parma** خليفة دون جون ، قد سار على سياسة سلفه موقع الفرقة بين الشمال والجنوب , وركز وليام الأول جهوده في الدفاع عن كلفني الشمال ، وهكذا تكون **اتحاد اوتريخت**(*) **Union of Utrecht** بين الولايات السبعة الشمالية عام 1579

(*) اتحاد اوتريخت : وهو اتحاد تم عقده في 23 كانون الثاني 1579 في مدينة اوتريخت ، وشمل الاتحاد المقاطعات والمدن الملتزمة بمواصلة مقاومة الحكم الإسباني. وهي : زيلاند ، اوتريخت ، جيلديرلاند ، هولندا أوفيريجسيل ، فريزلاند ، وخرونينجن وكلها في الشمال ، وقرروا تأسيس

, وهذا هو أساس تكوين الجمهورية الهولندية. واستمر ذلك الاتحاد يعترف بسلطة الملك فليب الثاني ، ولكن في عام 1581 أعلن الاتحاد الانفصال عن اسبانيا ، ثم كونت هذه الولايات دولة مستقلة تحت حكم وليام الأول عام 1584 (Tracy, 2008, p. 225).

ادى ذلك الانفصال إلى اغتيال وليام الأول في نفس العام 1584 , لكن ذلك لم يؤثر على إنشاء الدولة الجديدة , ومنذ ذلك الوقت لم تعد العمليات الحربية في هذه البلاد حربا بالمعنى المفهوم. وظلت الولايات الشمالية محتفظة باستقلالها، ويرجع ذلك إلى مهارة ومقدرة **موريس Maurice** الذي خلف أبيه وليام الأول وإلى مساعدة ملكة إنكلترا **اليزابيث الأولى**[*] **Elizabeth I**. يضاف إلى ذلك أيضا أن الملك فيليب الثاني قد شغله عن الأراضي المنخفضة مشاكل أخرى. إذ ان الحرب مع إنكلترا وتحطيم الأسطول الاسباني عام 1588 في **موقعة الأرمادا**[*] **Battle of Armada** قد كانت ضربة قاصمة لقوة إسبانيا في البحر (Tracy, 2008, p. 316).

ولم يتمكن دوق بارما من إخضاع الأقاليم الجنوبية تماما للحكم الاسباني. وقد منح الملك فيليب الثاني هذه الجهات لابنته إيزابيلا بمناسبة زواجها من ألبرت النمساوي , ومات الملك فيليب الثاني عام 1598 واسبانيا ما زالت ترفض التنازل عن حقها في أي جزء من الأراضي المنخفضة. وأخيرا عقد الملك **فيليب الثالث**[*] **Philip III** هدنة مع المقاطعات السبع الشمالية عام ١٦٠٩ لمدة ١٢ عاماً , وهذه الهدنة ضمنت في الواقع استقلال هذه المقاطعات وحصلت هولندا على الاعتراف الرسمي بوجودها كدولة أوروبية باسم الجمهورية الهولندية في ١٠ ايار 1648 (Milton, 1998, p. 132).

الخاتمة

توصل البحث الى عدة استنتاجات اهمها :

1. عند تولي الملك فيليب الثاني الحكم في الاراضي المنخفضة كانت فكرة الاتحاد المشترك وضرورة قيام كيان واحد فيها تتسلط على اذهان عدد كبير من المفكرين وسنحت الظروف لهذه الفكرة ان تنمو وتتطور وتصبح ثورة هدفها التخلص من الحكم الأجنبي.
2. ان الملك فيليب الثاني قد عاش في الاراضي المنخفضة فترة طويله الا انه طول هذه الفترة كان همه القضاء على المذهب البروتستانتي فقد كان يعتقد ان توحيد الملك لا يأتي الا بتوحيد الدين.
3. عند تركه الاراضي المنخفضة لم ينصب عليها حاكماً من ابنائها بل عهد الى اخته مارغريت دوقة روما لتحكم فيها.
4. عين موظفي الحكومة كلهم من الاسبان ووضع فيها قوات اسبانيا فساء بذلك حال البلاد واتسم عهده بالبطش مما دعم عوامل الثورة في ذلك العهد .

اتحاد لرابطة اعداد حرب الاستقلال ضد إسبانيا ، وأصبح اتحاد اوتريخت في الواقع أساسًا لدولة منفصلة في الشمال , واصبحت تسمى اقاليم الاراضي المنخفضة المتحدة او الجمهورية الهولندية . للمزيد ينظر: (Brandon, 2015, p. 46)

(*) اليزابيث الأولى (1533–1558/1603–1603): ولدت في 7 أيلول 1533 في مدينة كرين وج بالقرب من لندن, وهي ابنة هنري الثامن من زوجته آن بولين , وقد ورثت العرش بعد وفاة اختها غير الشقيقة ماري الكاثوليكية عام 1558، اتبعت المذهب الانكليكاني وشهدت البلاد في عهدها تطورا تجاريا وصناعياً، وبناء اسطول قوي ، واهتماماً بالنشاط الاستعماري، عرفت بعدائها للكاثوليك فعقدت معاهدة مع اسكتلندا لتقوي مركز البروتستانت ضد الكاثوليك ، واضعفت مركز فرنسا ورفضت طلب ملك إسبانيا فيليب الثاني (1556–1598) الزواج منها عام 1559 وقد دخلت في حرب مع إسبانيا عام 1588. توفيت في 24 أذار 1603. للمزيد ينظر: (Encyclopedia Britannica, 1910, pp. 282-283).

* (**) موقعة الأرمادا : حدثت تلك الموقعة عام 1588 عندما أرسل الملك الإسباني فيليب الثاني الأسطول الإسباني المسمى الأرمادا لغزو الجزر الإنكليزية ، وكانت رغبة فيليب هي إعادة الكاثوليكية الى إنكلترا والقضاء على القرصنة الإنكليزية ضد التجارة الإسبانية ، إذ دارت الموقعة بين الأسطولين الإسباني والإنكليزي وأدى الطقس والخطط العسكرية التي استخدمها الإنكليز في المعركة الى هزيمة الأسطول الإسباني. للمزيد ينظر: (Tallett & Trim, 2010, p. 255) (Wernham, 1968, p. 9).

* (***) فيليب الثالث (1578–1598/1621–1621) : ولد في 14 نيسان 1578 وهو ابن ملك إسبانيا فيليب الثاني , ورث امبراطورية واسعة آخذت في الانحطاط , بعد أن ترك ادارتها لبعض النبلاء المقربين اليه , عرف بانغماسه في متارف البلاط نشبت في عهده حرب الثلاثين عاماً , تميز عهده بسياسة خارجية ناجحة في أوروبا الغربية , إذ واصلت حكومة فيليب سياسة العداء تجاه العثمانيين ، وفي إيطاليا واجهت منافسة جمهورية البندقية ودوقية سافوي كما شهد عهده تصادم للمصالح مع فرنسا. توفي عام 1621. للمزيد ينظر: (Encyclopedia Britannica, 1910, pp. 385-386).

5. بدأ التذمر الحقيقي في الاراضي المنخفضة عندما اتسعت دائرة الحروب التي خاضتها اسبانيا واضطرت الى مطالبة البلاد التابعة لها بالمساهمة بالمال والرجال.

6. كانت اسبانيا رغم قوة جيشها كانت تعاني آنذاك ازمة اقتصادية شديدة نتج عنها عجزها في الانفاق على قواتها حتى ان كثيرا ما مرت الشهور تلو الشهور دون ان تدفع مرتبات الجنود اضافة الى ان حروب الاراضي المنخفضة لم تكن المسألة الوحيدة التي تشغلها بل انها كانت منشغلة في حروب اخرى ضد فرنسا وإنكلترا.

7. استطاع الهولنديون الكالفنيون بصبرهم وثباتهم وصمودهم ان ينجحوا في انتزاع جزء كبير من الاراضي المنخفضة ويؤسسوا فيه حكومة مستقلة سميت بالجمهورية الهولندية.

المراجع

Acton, J. (1906). *The Huguenots and the League.* Lecture: New York.
Andeweg, R. B., & Irwin, G. A. (1993). *Dutch Government and Politics.* New York: Macmillan.
Bindoff, S. T. (1964). *Tudor England.* U.K: Penguin Books.
Brandon, P. (2015). *War Capital, and the Dutch State (1588-1795).* USA: Hotei Publishing.
Broomhall, S., & Gent, J. V. (2016). *Gender , Power and Identity in the Early Modern House of Orange-Nassau.* London.
Claflinma, W. H. (1910). *Holland and Belgium.* Chicago: The H.W. Snow and Son Company.
Dandelet, T. J., & Marino, J. A. (2007). *Spain in Italy- politics, society, and religion 1500-1700.* Boston: Brill Press.
Elson, H. W. (1927). *History of the United States of America.* New York: Macmillan.
Encyclopedia Britannica (Vol. 5). (1910). New York: Madison Avenue.
Ergang, R. (1939). *Europe–From The Renaissance To Waterloo.* Boston: D. C. HEATH AND COMPANY.
https://www.britannica.com/biography/William-I-stadholder-of-United-Provinces-of-The-Netherlands. (n.d.).
Kamen, H. (2000). *Who's Who In Europe 1450-1750.* London: Rutledge.
Kann, R. A. (2017). *The Habsburg Empire : A Very Short Introduction.* California: University of California Press.
Lodge, R. (1885). *A History of Modern Europe.* London: John Murray.
Milton, P. (1998). *Towards A Westphalia for the Middle East.* Oxford: Oxford University Press.
Motley, J. L. (2006). *History of the United Netherlands 1584-1586.* N.D: BiblioBazaar.
Phillips, D. W., & Phillips, C. R. (2016). *A Concise History of Spain.* Cambridge: Cambridge University Press.
Price, J. (1998). *The Dutch Republic in the Seventeenth Century.* New York: Macmillan.
State, P. F. (2008). *A Brief History of the Netherlands.* New York: Facts On File Inc.
Tallett, F., & Trim, D. (2010). *European Warfare 1350–1750.* U.K: Cambridge University Press.
Tracy, J. D. (2008). *The Founding of the Dutch Republic_ War, Finance, and Politics in Holland, 1572-1588.* Oxford: Oxford University Press.
Wernham, R. (1968). *The New Cambridge Modern History : Counter-Reformation and Price Revolution 1559-1610.* London: Cambridge At The University Press.
صالح خضر محمد. (2015). دور الدبلوماسيين البريطانيين المقيمين والملحقين العسكريين والتجاريين في متابعة الأنشطة التهريبية في الخليج العربي 1880- 1914. *مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية*(المجلد 10).
طالب عبد الغني جار الله. (2015). حصار نابليون لعكا دراسة تاريخية. *مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية*(المجلد 10).

References

Acton, J. (1906). *The Huguenots and the League*. Lecture: New York.
Andeweg, R. B., & Irwin, G. A. (1993). *Dutch Government and Politics*. New York: Macmillan.

Bindoff, S. T. (1964). *Tudor England*. U.K: Penguin Books.
Brandon, P. (2015). *War Capital, and the Dutch State (1588-1795)*. USA: Hotei Publishing.
Broomhall, S., & Gent, J. V. (2016). *Gender , Power and Identity in the Early Modern House of Orange-Nassau*. London.
Claflinma, W. H. (1910). *Holland and Belgium*. Chicago: The H.W. Snow and Son Company.
Dandelet, T. J., & Marino, J. A. (2007). *Spain in Italy- politics, society, and religion 1500-1700*. Boston: Brill Press.
Elson, H. W. (1927). *History of the United States of America*. New York: Macmillan.
Encyclopedia Britannica (Vol. 5). (1910). New York: Madison Avenue.
Ergang, R. (1939). *Europe–From The Renaissance To Waterloo*. Boston: D. C. HEATH AND COMPANY.
https://www.britannica.com/biography/*William-I-stadholder-of-United-Provinces-of-The-Netherlands*. (n.d.).
Kamen, H. (2000). *Who's Who In Europe 1450-1750*. London: Rutledge.
Kann, R. A. (2017). *The Habsburg Empire : A Very Short Introduction*. California: University of California Press.
Lodge, R. (1885). *A History of Modern Europe*. London: John Murray.
Milton, P. (1998). *Towards A Westphalia for the Middle East*. Oxford: Oxford University Press.
Motley, J. L. (2006). *History of the United Netherlands 1584-1586*. N.D: BiblioBazaar.
Phillips, D. W., & Phillips, C. R. (2016). *A Concise History of Spain*. Cambridge: Cambridge University Press.
Price, J. (1998). *The Dutch Republic in the Seventeenth Century*. New York: Macmillan.
Saleh Khader Mohammed. (2015). *The role of British resident diplomats, military and commercial attaches in the follow - up of smuggling activities in the Arabian Gulf 1880-1914*. Journal of the University of Kirkuk for Humanitarian Studies (Volume 10).
State, P. F. (2008). *A Brief History of the Netherlands*. New York: Facts On File Inc.
Talib Abdul Ghani Jarallah. (2015). *Napoleon's Siege is a historical study*. Journal of the University of Kirkuk for Humanitarian Studies (Volume 10).
Tallett, F., & Trim, D. (2010). *European Warfare 1350–1750*. U.K: Cambridge University Press.
Tracy, J. D. (2008). *The Founding of the Dutch Republic_ War, Finance, and Politics in Holland, 1572-1588*. Oxford: Oxford University Press.
Wernham, R. (1968). *The New Cambridge Modern History : Counter-Reformation and Price Revolution 1559-1610*. London: Cambridge At The University Press.